الكاتب في حوار صحفي مع د. الصاوي

حديث د. الصاوي حبيب
أول شاهد على آخر لحظات
جمال عبد الناصر

obeikandl.com

الدكتور الصاوي برفقة الزعيم الراحل في تسخالطوبو .. روسيا

حديث مطول مع الدكتور الصاوى محمود حبيب ..الطبيب المرافق والملازم للرئيس جمال عبد الناصر فى الفترة من يوليو ١٩٦٧ وحتى وفاته فى ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠ .. .. وقد نشرناه فى مجلة الأهرام العربى فى خمس حلقات فى عام ٢٠٠٧ احتفاءً بصدور كتاب الدكتور الصاوى مذكرات طبيب عبد الناصر عن الهيئة المصرية للكتاب .

الحلقة الأولى

ما نشر عن موت عبد الناصر.. أكثره أكاذيب!!

التجوال في تاريخ المشاهير ومعرفة أسرار حياتهم له مذاق خاص وشهية مفتوحة دائما للمزيد.. بل إن متعته تفوق متعة النميمة المعلنة عند محبيها!! وتتضاعف تلك المتعة إذا ما كان صاحبها شخصية سياسية أثارت حولها جدلا واسعا.. وكان التجوال محظورا في مفردات ودقائق حياتها، ضعفها وقوتها، صحتها ومرضها، أسباب وملابسات موتها، قراراتها المصيرية السلبية والإيجابية.

وقد أثارت شخصية الزعيم جمال عبدالناصر ـ ولاتزال ـ الكثير من الجدل ليس علي المستوي المحلي والعروبي فقط بل علي المستوي العالمي. فقد أخرجت حروف المطابع العديد من الكتب والدراسات المتباينة التي تناولت جمال عبدالناصر رئيسا وزعيما، صحيحا ومريضا، عادلا وديكتاتورا.

وهاهو الدكتور الصاوي حبيب استشاري الأمراض الباطنة والقلب الطبيب الخاص للرئيس الراحل يحدثنا عن تجربته التي لازمه فيها وكان يقوم بالكشف الطبي عليه يوميا، ولذا فهو

حديث ـ كما وصفته نقابة أطباء مصر ـ يستحق الاهتمام والاحتفاء حرصا علي الحقيقة والتي يجب أن تذكر للتاريخ والأجيال المقبلة.

وقد حرص الدكتور الصاوي علي أن تصبح كلماته سطورا وصفحات تعد وثيقة تاريخية صحيحة حتى لا يصبح التاريخ أكذوبة.

ومن جانبها كانت الهيئة المصرية العامة للكتاب سباقة في الاحتفاء بتلك الشهادات فقد أخرجتها في كتاب تحت عنوان مذكرات طبيب عبدالناصر استهلت به إصداراتها في العام.٢٠٠٧

ومما يشعل نار الشوق لمعرفة الحقيقة حول ما أشيع عن أمراض الرئيس عبدالناصر وأسباب وفاته الحقيقية ما يقوله د. الصاوي وقد كان دافعا له بالبوح والفضفضة رغم مرور أكثر من خمسة وثلاثين عاما علي وفاة عبدالناصر، ليضع حدا لأكاذيب المغالطين والمتعالمين ببواطن الأمور وينشر نور اليقين في سيرة الزعيم، يقول: إن كثيرا من الأقلام تناولت الحالة الصحية للرئيس عبدالناصر وسبب وفاته، فقد ذكر البعض أنه مات بالإهمال أو مات بالسم أو نتيجة التآمر، بل إن ما ينشر عن فريق الأطباء الذين كانوا يعالجونه أكثره خاطيء، ولذا شعرت بأن الكتابة عما أعرفه ضرورة والسكوت عنه خطأ.

ويحدد د. الصاوي الفترة التي لازم فيها الرئيس عبدالناصر كطبيب خاص قائلا: لازمت عبدالناصر خلال ثلاث سنوات وأربعة أشهر يوميا وأحيانا مرتين أو ثلاث مرات في اليوم الواحد.

وسافرت معه جميع سفرياته اعتبارا من يونيو١٩٦٧ وحتي اللحظة الأخيرة، والنفس الأخير في حياته، ولم يحدث أن قابله طبيب أيا كان مصريا أم أجنبيا للكشف أو التحليل أو العلاج الطبيعي ولم أكن حاضرا، ولم يحدث أن تناول علاجا لم أعرفه أو أجريت له أبحاث معملية أو صور أشعة ولم أكن موجودا، أليس هذا

كافيا لكي أكون شاهد عيان؟!

كيف تقرر أن يكون الدكتور الصاوي حبيب طبيب الرئيس الخاص وهو لم يمض علي تخرجه في كلية الطب بقصر العيني سوي١٥ عاما؟

وما المرة الأولي التي تولي فيها علاج عبدالناصر؟! وكيف كان يتعامل مع هذه الشخصية التي تتمتع بكل هذا الدوي وتلك المكانة؟

وما الأمراض التي كان يعاني منها و.... و.... و.... عشرات الأسئلة القديمة الجديدة يجيب عنها د. الصاوي.

ولكن قبل أن نتجول مع د. الصاوي نقف أولا مع الشائعات التي نالت من كل شيء! حقيقة أمراض الرئيس، أسباب وفاته، الأطباء الذين يعالجونه وخصوصا الدكتور الصاوي والذي جعلت من التصريحات المكتوبة بالصحف والكتب نقلا عن مسئولين كبار بجهاز الرئاسة طبيبا للأطفال!! لترفع الدهشة حاجبيها بسؤال استنكاري كيف لطبيب أطفال أن يعالج جمال عبدالناصر رئيس الجمهورية العربية المتحدة!! وكيف أعطاه حقنة خاطئة كانت سببا في الوفاة؟!

يعتصر الألم د. الصاوي ويفترش الحزن خيمته فوق تضاريس وجهه وهو يقول: قرأت في جريدة الأهرام يوم٨/ ٩/ ١٩٨٦ في عمود الأستاذ صلاح منتصر نقلا عن حديث لكبير الأمناء الأسبق برئاسة الجمهورية هو(صلاح الشاد) ـ رحمه الله ـ نشر في مجلة الوطن العربي في١١/ ٧/ ١٩٨٦ أن عبدالناصر أصيب بغيبوبة في المطار بعد أن ودع أمير الكويت في آخر قمة عربية شهدها في سبتمبر١٩٧٠ وهذا لم يحدث ولم يذكره أحد من عشرات الحاضرين والصحفيين الذين كانوا في المطار، ولم يذكره هو لي عندما قابلته في المنزل، وقال نقلا عن كبير الأمناء أيضا إنني طبيب أطفال(وأنا حاصل علي دبلومات في الجراحة العامة وجراحة المسالك البولية والباطنة العامة والقلب والأوعية الدموية ودكتوراه في الباطنة) ولم أكن يوما طبيب أطفال

obeikandl.com

وقال إنني أعطيته حقنة انتستين بريفين وهي ليست حقنة ولكن نقط أنف، وهذا لم يحدث وما أخذه كان حقنا لعلاج القلب وقال أيضا إنه مات على الفور عقب الحقنة ولم يحدث ذلك فقد بقي علي قيد الحياة مدة أكثر من ساعة ونصف الساعة، بعد وصوله إلي منزله، وذكر أن الحضور لم يكن فيهم طبيب قلب والحضور كانوا الأستاذ الدكتور منصور فايز وهو أستاذ الباطنة التي تشمل القلب والأستاذ الدكتور زكي الرملي وهو أستاذ القلب وأنا، كنت حاصلا إلي جانب دكتوراه الباطنة علي دبلوم القلب، هكذا لم يكن الحديث إلا مجموعة من الأكاذيب نشرتها جريدة الأهرام نقلا عن مجلة عربية لحديث لكبير الأمناء وهو مسئول، والمفروض ألا يشك أحد في أقواله، ولم يكن كافيا أن ينشر الأستاذ صلاح منتصر ملخصا لردي عليه، فقد تداولت جميع الصحف الخبر فرفعت قضية سب وقذف ظلت متداولة في المحاكم بما في ذلك محكمة النقض لأكثر من عشر سنوات، ولكن القضاء العادل أنصفني في النهاية وحكمت لي المحكمة بتعويض وإن كان الحكم بالنسبة لي أهم من التعويض، وإن كان الأستاذ صلاح الشاهد قد نفي أنه أدلي بهذا الكلام وذلك في خطاب أرسله إلي رئيس تحرير مجلة الوطن العربي يكذب فيه ما نشر.

وعندما تداولت الصحف ما نشره كبير الأمناء أرسلنا الدكتور منصور فايز والدكتور زكي الرملي وأنا، بيانا لجريدة الأهرام بتاريخ ٣٠ سبتمبر١٩٨٦، عن وقائع وفاة الرئيس عبدالناصر.

أما لماذا نشر كبير الأمناء هذه الأكاذيب؟ فلا أعلم فليس بيني وبين أحد عداوة، ولكن لعل الأمور اختلطت عليه والدليل علي ذلك التكذيب الذي أرسله بخط يده بعد أن رفعت القضية.

وقيل لي يوما إن الفريق محمد فوزي وزير الدفاع وقتها ذكر في إحدي الفضائيات أنه أمسك بي أثناء وفاة الرئيس عبدالناصر طالبا مني أن أستمر في محاولات إنقاذه، وهذا لم يحدث فأنا لم أره ولم أقابله يوم الوفاة، وهو أيضا لم يكن بجوار الرئيس ساعة

الوفاة وكنا نحن فقط أطباءه الثلاثة الحاضرين حتى أسرته كانت خارج حجرته ساعة الوفاة وحقيقة الأمر أنني بعد أن خرجت من الحجرة وأعلنت وفاته حضر من حضر.

وبلغ الأمر أن إحدي المجلات نشرت حديثا عن الفريق الدكتور رفاعي كامل استشاري القلب ذكرت فيه أنه كان طبيب عبدالناصر وأنه توفي بغيبوبة سكر والحقيقة أنه لم يصب بغيبوبة قبل الوفاة ولم يصب بنقص في السكر فأول شيء تناوله الرئيس بعد وصوله من المطار كان كوب عصير برتقال من يد السيدة حرمه، كان معتادا تناوله عند شعوره بتعب أو إجهاد، وفوق هذا وذاك لم يكن الدكتور رفاعي كامل طبيبه ولم أره يكشف عليه أو يحضر إلي منزله مرة واحدة في فترة عملي.

ونشر أكثر من مرة في الصحف والمجلات أن عميد كلية العلاج الطبيعي والذي أهين وسجن بتهمة العمالة لإسرائيل قام بعمل تدليك لساقي الرئيس عبدالناصر بمادة سامة سببت وفاته، والحقيقة أنه لم يقابل الرئيس عبدالناصر ولم يدخل منزله ولم يدلك ساقيه طوال فترة عمله مع الرئيس، بل إنني حتى الآن لا أعرف عنه شيئا ولم أسمع اسمه أثناء وجود عبدالناصر علي قيد الحياة.

وأيضا نشر أن المياه الطبيعية التي عولج بها الرئيس في تسخالطوبو بروسيا مسممة وأنها سببت وفاته، وفي الحقيقة أن نفس الجلسات التي أخذها الرئيس أخذتها أنا أيضا من نفس المياه علي سبيل التجربة وبالتالي فلا مجال للقول إنها مسممة، فضلا عن أنني شاهدت حفاوة الروس بالرئيس واهتمامهم الكبير بصحته حتى إن وزير الصحة الروسي وكبير أطباء القلب الرؤس البروفيسورشازوف أشرفا علي الكشف عليه مع أكبر الأساتذة الروس في مختلف التخصصات حتى إنه تقديرا لاهتمامهم به امتنع عبدالناصر عن التدخين في روسيا في يوليو١٩٦٨ ولم يعد إليه بعد ذلك.

وفي حديث عابر مع رئيس تحرير جريدة الجمهورية تطرق الأستاذ محمد علي إبراهيم الحديث عن الرئيس عبدالناصر فسألني عن حقيقة ما يقال عن إصابة عبدالناصر بمرض السكري البرونزي، وهذا السكر مرتبط بزيادة الحديد في الجسم مما يسبب تلف الكبد وإصابته بالأورام وتليف البنكرياس وحدوث مرض السكر وهبوط بالقلب مع تلوين الجلد باللون البرونزي، فذكرت له نوع مرض السكر عند عبدالناصر وهو النوع العادي الذي يصيب الكبار، ونفيت له ما يشاع من أنه نوع آخر، ولكنني فوجئت به بعد فترة ينسب إلي في مقال له أنني ذكرت له أن السكر الذي كان يعاني منه الرئيس هو النوع الذي نفيته تماما أي عكس ما ذكرت له وعندما اتصلت به تليفونيا أصحح له هذه المعلومة قال إنه سيصححها ولكنه لم يفعل.

جدير بالذكر أن السكر الذي كان يعاني منه الرئيس عبدالناصر هو السكر الذي يعاني منه أغلب الكبار وفيه يفرز البنكرياس الأنسولين ولكن الجسم يقاوم عمله وهو إدخال سكر الدم في الخلايا لتوليد الطاقة وإنتاج بروتين وتخزين دهون، وهذا النوع يختلف عن السكر الذي يصيب الصغار وينشأ عن نقص إنتاج الأنسولين أصلا من البنكرياس وقد قام الدكتور أرنست فايفر بعمل التحليل المعملي للرئيس الذي أثبت ذلك في مارس.١٩٦٩

وفي كتاب نشر حديثا بالإنجليزية مقالة للدكتورة أهداف سويف ذكرت فيها أن الأطباء الذين حضروا الوفاة خمسة ذكرتهم بالاسم وهو ما لم يحدث، فالذين حضروا حتى لحظة وفاته ثلاثة فقط، هم أنا والدكتور منصور فايز والدكتور زكي الرملي بترتيب الحضور، وإذا كان هناك من حضر من الأطباء وغيرهم فقد حضر بعد الوفاة.

وأخيرا جاءتني معدة تليفزيونية قالت إن اسمها عبير لتسجل برنامجا عن حالات صعبة قمت بعلاجها لقناة الأسرة والطفل(كما ادعت) ولكن الحديث لم

يذع ولم أجد من يعرفها في قناة الأسرة والطفل ولم أجد الشريط المسجل.

وبعد مدة طويلة علمت بالمصادفة وعن طريق الصحف أنني سأتحدث في برنامج اختراق لعمرو الليثي علي القناة الثانية ولم يكن قد تحدث معي أو قابلني أو أخذ موافقتي علي الحديث الذي سيذاع فطلبت رسميا وقف إذاعته.

وبعيدا عن الملف الصحي وقعت عيناي علي خطأ في كتابة التاريخ ليست له دلالة ولكني أذكر ليتم تصحيحه فقد وجدت في كتاب(عبدالناصر السجل بالصور) الصادر عن مؤسسة الأهرام الطبعة الثانية ص٢٢٩ صورة لعبدالناصر في مرسي مطروح مدون فوقها(يوم٢١ مارس سنة١٩٧٠ بأنه سافر إلي مرسي مطروح لإجازة قصيرة)، ولكن الحقيقة أنه في نفس هذا اليوم والأيام التي سبقته والتي جاءت بعده لم يغادر القاهرة فضلا عن أن يوم٢١ مارس١٩٧٠ لا يقع في الأسبوع الأخير(قبل الوفاة) كما جاء في عنوان هذه المجموعة من الصور.ويبقي أن أضيف شيئا عن الفكر التآمري الذي يقول أصحابه إنه تناول في المطار أثناء توديع أمير الكويت كوب عصير مسمم كان سبب الوفاة، وفي الحقيقة لقد كان هناك نظام لحماية الرئيس من دس السموم في الدواء والغذاء والشراب.

بالنسبة للدواء كنا نحصل عليه من أية صيدلية أو مخزن أدوية وليس من مكان معين وكان دواء الرئيس يأتي مع دواء موظفي الرئاسة ويوزع علي الجميع، وكنت أقدم دواء الإفطار يدا بيد أما دواء الغداء والعشاء فكنت أضعه بنفسي في علبة خاصة وبالنسبة للكشف فقد كنت أدخل عليه خالي الوفاض وأغادره كذلك، فجهاز الضغط والساعة والترمومتر وخافض اللسان وجهاز رسم القلب وأسطوانة الأكسجين وغيرها كانت موجودة بصفة دائمة في حجرة المكتب الملحقة بغرفة النوم.

وبالنسبة لطعام عبدالناصر فقد كان يتم شراؤه يوميا بواسطة أحد الموظفين من

الأسواق وكان يفضل الطعام الذي تقوم السيدة حرمه بإعداده بمساعدة الطباخ، وأما العصائر فقد كانت تعد داخل المنزل طازجة وبالنسبة للمآدب الرسمية والحفلات كان السفرجي الخاص به يرافقه في كل مكان ويقدم إليه غذاءه الخاص أو مشروبه الذي يتم إعداده خصيصا له دون أن يلاحظ أحد أي اختلاف بين ما يقدم وما يقدم لغيره.

بناء علي ذلك لم يكن الأمر متروكا للمصادفة ولذلك فإن نظرية استبدال كوب العصير في المطار لا يمكن حدوثها وأنا لا أعرف هل شرب أي شيء في المطار أم لا، ثم إن الكوب يقدم له مباشرة بواسطة السفرجي الخاص من الترموس إلي الكوب إلي الرئيس مباشرة وليس من السهل استبداله، ثم ما المادة السامة التي تحدث نفس الأعراض التي حدثت للرئيس دون أن يصاحب ذلك قيء أو إسهال وهو ما لم يحدث؟

obeikandl.com

obeikandi.com

obeikandi.com

obeikandl.com

الحلقة الثانية

في مواجهة الزعيم وأشياء أخرى

الحديث مع الدكتور الصاوي حبيب، الطبيب الخاص للرئيس جمال عبد الناصر، ذو شجون وطرائف ومفاجآت، ففي الوقت الذي يحدثنا فيه عن حياة المشقة والجدية والتعب في الكلية الحربية قائلاً: كنا ننهض في الساعة السادسة صباحًا ولا نخلع أحذيتنا حتى الساعة الثامنة مساء، نراه يحدثنا عن المشكلة التي يعانيها أنفه ولم يفلح معها الكي عدة مرات.

كما نراه يخترع توقيتًا طريفًا ليتغلب على مشكلة مراجعة دروس امتحان دبلوم الجراحة في المستشفى الذي يقيم فيه قائلاً: كنت أبيت بالمستشفى حتى يمر الأطباء في الصباح ثم أذهب إلى فندق في ميدان العتبة لأظل فيه طوال النهار أراجع الدروس حتى المساء فأتوجه إلى المستشفى للمبيت وكنت بذلك أغرب نزيل بالفندق أقيم فيه نهارًا وأغادره ليلا عكس جميع الناس.

ورغم بساطة الأسلوب وخفة ظله نرى بحرًا لا ساحل له من العمق والتأمل وربما الأحزان، فرغم المكانة التي توج به رحلته العلمية «الطبيب الخاص للزعيم جمال عبد الناصر»

obeikandi.com

الذي ملأ الدنيا وشغل ولا يزال يشغل الناس ، وقد يرى البعض ذلك التميز وتلك المكانة مدعاة للحسد نراه يقول في نهاية الكتاب : وأتأمل حياتي فأجد انتصاراتها قليلة وهزائمها كثيرة ، ونجاحاتها قليلة وإخفاقاتها كثيرة ، ليلها طويل وفجرها قصير ، ومع ذلك فالأخيار والأصدقاء والحباء ما زالوا حولنا ، وما زالت الشمس تشرق .

مما يجعلنا ندهش قائلين : سبحان الله .. ونردد صدق الله العظيم ، إذ يقول « لقد خلقنا الإنسان في كبد » فالزعيم الذي كانت حياته أوسع من خيال البسطاء يعيش في ألم ومعاناة صحية لا حدود لمرارتها رغم مظهره القوي وصوته الجهوري وحالته الروحية التي احتلت النفوس وكحلت العيون وكأنه نبي في زمن بلا معجزات !!

أما الدكتور الصاوي فربما ورث التأمل والحكمة وأيضًا خفة الدم من جده الشيخ محمد حسن حبيب ، الذي قال عنه : كان رجلا حكيمًا ينظر إلى الأمور بعمق وتمعن ، وأذكر أنه كان يقرأ الجرائد يوميًا بعد قيام ثورة يوليو ، وكان فيها خبر عن تناول مجلس قيادة الثورة سندوتشات الفول والطعمية فعلق قائلاً : كنا نريدكم أن تأكلوا لحومًا وفراخًا لكي يأكل الناس مثلكم ، أما إذا بدأتم بالفول والطعمية فلن يجد الناس ما يأكلونه في المستقبل .

طبيب في الرئاسة

ورث أيضًا د. الصاوي نادرة المثال ، تلك الصراحة التي أجابت لنا عن سؤال مهم يقول : كيف التحق د. الصاوي للعمل كطبيب في رئاسة الجمهورية ؟

يقول : علمت أن أحد الزملاء وكان يعمل طبيبًا في الحرس الجمهوري قد نقل في بعثة إلى إنجلترا فتقدمت للدكتور أحمد ثروت مدير قسم طبي برئاسة الجمهورية طالبًا انتدابي للعمل بدلا من الزميل المنقول ، وكان عمي الأستاذ إبراهيم محمد حبيب محافظ الشرقية في ذلك الوقت ، هو الذي حدد لي الميعاد عن طريق صديقه

الأستاذ حسين رأفت وكيل الداخلية ، ونسيب الدكتور أحمد ثروت ، وبالفعل تم اختياري من بين الذين تقدموا وتم انتدابي للعمل في رئاسة الجمهورية في منتصف فبراير ١٩٦١ .

كان العمل محدودًا ومتنوعًا ومشوقًا وكان يشمل الكشف الطبي على المرضى من جنود وضباط وموظفين يعملون برئاسة الجمهورية ، وكذلك مرافقة رئيس الجمهورية في تنقلاته الداخلية بالتناوب مع اثنين من الزملاء ، مما أتاح الوقت للدراسة فقد تقدمت في وقت واحد تقريبًا للالتحاق بدراسة دبلوم الأمراض الباطنية في جامعة القاهرة ، ودبلوم أمراض القلب في جامعة عين شمس .

ويضيف د. الصاوي تفاصيل أكثر قائلاً : كان العمل يشمل حضور المآدب الرسمية والحفلات والاحتفالات الرسمية أو مواجهة أي طوارئ طبية أيضًا التأكد من سلامة الأغذية والمشروبات ، بالإضافة إلى ذلك كان العمل يشمل مرافقة كبار الزوار من ملوك ورؤساء ، وقد أتاح لي ذلك زيارة جميع المتاحف والأماكن الثرية والسياحية والمصايف والمنتجعات والمصانع والإنشاءات المهمة مع الإقامة في أفخم الفنادق والقصور في جميع أنحاء مصر .

وهكذا تركت غرفة العمليات وبدأت أمارس الطب الباطني اعتبارًا من أول عام ١٩٦١ بعد ممارسة الجراحة منذ عام ١٩٥٤ وحتى نهاية ١٩٦٠ .

وكان الملازم أول د. الصاوي قد التحق بمستشفى السويس العسكري في مارس ١٩٥٦ وفي نهاية أكتوبر من نفس العام وقت العدوان الثلاثي : انجلترا ، فرنسا ، إسرائيل ضد مصر ردا على تأميم قناة السويس ، وكان العمل الشاق في إسعاف مئات المصابين ليل نهار ، وإجراء العمليات الجراحية لهم في مختلف فروع الجراحة حتى بدأت القوت المعتدية الانسحاب بعد ثلاثة أشهر وعادت الحياة إلى طبيعتها وعادت الملاحة للقناة بعد تطهيرها .

يتوقف د. الصاوي أمام لحظة مبهرة في حياته قائلاً : كان مثيرًا للمشاعر والفخر أن أدخل نادي بلير في السويس فأجد الحضور كلهم من المصريين وأتذكر الأمس القريب حين دخلته قبل التأميم فوجدت غالبية الحضور أجانب والقلة منهم مصريون وأكثرهم « جرسونات » ساعتها شعرت بالغربة وبأني دخيل على المكان وغادرته سريعًا .

في مواجهة الزعيم

في ٦ يناير ١٩٦٤ صدر قرار رئيس لجمهورية العربية المتحدة رقم ٩٠ بتعيين د. الصاوي حبيب بالدرجة الثالثة الفنية برئاسة الجمهورية براتب شهري قدره ٦٧ جنيًها وبذلك نقل الرائد طبيب الصاوي حبيب إلى الوظيفة المدنية ، ورغم أن القرار الجمهوري لم يغير شيئًا من الواقع لكنه كان إقرارا لهذا الواقع بشكل رسمي وليس انتدابًا .

يحدثنا الدكتور الصاوي عن أول تعامل له مع الزعيم عبد الناصر بشكل عملي ومشاعره في تلك اللحظات قائلاً : في مايو ١٩٦٤ حضر رئيس اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفييتي خروشوف لزيارة مصر ، وكان في صحبة الرئيس لافتتاح نموذجية في مديرية التحرير أسهم الاتحاد السوفييتي في استزراعها كهدية لشعب مصر ومثال لاستزراع الصحراء ، وصاحبت ركب الرئيس وكان بصحبته في السيارة المشير عبد الحكيم عامر وكنت أركب في سيارة الحراسة بمصاحبة بعض ضباط الحراسة الخاصة ومصور الرئيس الخاص السيد حسن دياب وكان الوقت صيفًا شديد الحرارة وكان هناك عدد كبير من السيارات يتبع ركب الرئيس يشمل عربات الأمن والمرور وعربة إسعاف مجهزة بل كانت هناك بعض الطائرات التي تمرق في السماء بين حين وآخر . وبعد أن قطعنا أكثر من ثلث المسافة فجأة توقفت السيارات التي كانت تسبقنا ونزل السيد محمد أحمد سكرتير الرئيس واتجه إلى الخلف ، حيث السيارة التي أستقلها ثم طلب مني مصاحبته ومعي حقيبة الطوارئ

الطبية وأخبرني بصوت منخفض بأن الرئيس يشعر ببعض التعب ، توجهت إلى سيارة الرئيس وكان قد شعر بهبوط وغثيان مع بعض العرق فقمت بالكشف عليه وإعطائه الدواء اللازم ، وطلبت منه العودة إلى الاستراحة في برج العرب ، وطلبت من السيد محمد أحمد إبلاغ طبيبه الخاص الدكتور أحمد ثروت لمقابلته في الاستراحة وهو ما حدث فعلا وعدت أنا أيضًا إلى الإسكندرية .

كان هذا هو اللقاء الأول مع الرئيس عبد الناصر ، وقد أدهشتني استجابته الفورية للتعليمات الطبية دون مناقشة أو تردد .

حرب يونيو المتوقعة

ثلاث سنوات مرت على اللقاء الأول العابر للدكتور الصاوي والرئيس عبد الناصر لتبدأ الرحلة الحقيقية والدائمة بجوار عبد الناصر ، يقول عنها د. الصاوي : بحلول مايو ١٩٦٧ توالت الأحداث بشكل ينذر بالخطر وترددت الأنباء عن وجود حشود إسرائيلية على الحدود السورية بمقتضى معاهدة الدفاع المشترك بدأت مصر تستعد للقتال ، وعندما قرر عبد الناصر إغلاق خليج العقبة أمام الملاحة الإسرائيلية وانسحبت قوات الطوارئ الدولية ، أعلنت إسرائيل أن قرار عبد الناصر بمثابة إعلان حرب عليها ، وهكذا أصبحت الحرب على الأبواب ، وحضر الرئيس عبد الناصر اجتماعًا في القيادة العامة للقوات المسلحة مساء ٢ يونيو ١٩٦٧ وأخبرهم عبد الناصر بأن إسرائيل ستبدأ الحرب يوم ٥ يونيو تقريبًا، وفعلاً وقعت الواقعة وذهب تحذير عبد الناصر لقادة القوات المسلحة أدراج الرياح واحتلت إسرائيل سيناء ، ووصلت إلى شرق قناة السويس .

لم يكن هذا التحذير من هجوم إسرائيل هو الوحيد الذي حذر فيه عبد الناصر قادة الجيش فقد تكرر ذلك فيما بعد النكسة وتحديدًا في يوم ٩ سبتمبر عام ١٩٦٩ .

نترك الحديث للدكتور حبيب الذي يقول : قامت إسرائيل بعملية عسكرية على

شاطئ البحر الأحمر ، ردًا على عملية فدائية قامت بها قوات الصاعقة المصرية ، وعندما قابلت عبد الناصر كان الانفعال والتأثر واضحين على وجهه ، وعندما سألته عن السبب ظهرت الدهشة عليه رغم أنه كان يجيد السيطرة على انفعالاته وذكر لي أنه عندما اجتمع بقيادة الجيش بعد العملية الفدائية المصرية في العمق الإسرائيلي وأخبرهم بأنه يتوقع أن يرد الإسرائيليون وأن المكان المتوقع للرد هو شاطئ البحر الأحمر ، لكنهم بدلا من أن يقوموا بتعزيز مواقعهم قاموا بسحب بعض لقوات من الموقع بغرض التدريب ، فسهل على إسرائيل مهاجمة محطة الرادار .

بعد نكسة يونيه خيمت أجواء الحزن والكآبة علينا – كما يقول د. الصاوي – وبدت على البعض مظاهر التدين ، فأكثروا من التردد على المساجد وصيام الاثنين والخميس والبعض الآخر لجأ للبدع والخرافات وكثر قراء المستقبل وقراء الكف والفنجان .

أما الدكتور أحمد ثروت طبيب الرئيس فقد كان بالغ التأثر والحزن حتى أصبح غير قادر على الاستمرار في عمله ومعاودة الرئيس يوميًا كما كان يحدث .

وفي صباح يوم ١٢ يوليو ١٩٦٧ فوجئت بالسيد محمد أحمد سكرتير الرئيس الخاص يطلب مني مقابلة عبد الناصر وإعطائه العلاج ، وعلى الفور أخذت حقيبتي الطبية ودخلت منزل الرئيس للمرة الأولى .

والحق يقال إن السيد محمد حامد كان يتصف بالمروءة والشهامة ومساعدة من يطلب مساعدة، وكان يجامل الجميع في أفراحهم ويواسيهم في أحزانهم ، وقد تندر عليه البعض قائلاً : إنه لو كان يتقاضى قرشًا واحدًا عن كل جنازة أو سرادق عزاء يحضره لجمع ثروة طائلة !!

الحلقة الثالثة

تفاصيل منزل الزعيم ..
ملابسه .. طعامه .. شرابه

الأمراض الباطنية ذات مرة: كثيرا ما تسمع عن عظمة رئيس أو وزير حتى إذا التقيته وجدته أقل مما كنت تعتقد إلا جمال عبدالناصر، فقد وجدته أعظم بعد أن التقيته عما كنت أقدره.

كانت البساطة هي السمة المميزة لجمال عبدالناصر في مسكنه وملبسه وطعامه وحتى في طريقة عرض الأوراق والتقارير عليه.

كان يقيم في منزل تابع للأشغال العسكرية مكون من طابقين و حديقة واسعة، ولم يكن يشبه القصور، أو يتصف بالفخامة، ففي الدور الأرضي كانت حجرة المكتب علي اليسار وصالونان علي اليمين، أما الدور فوق الأرضي فكانت حجرة نوم الرئيس علي اليمين وبجوارها حجرة نوم السيدة حرمه يفصل بينهما الحمام، ولم تكن بالمنزل ديكورات أو تحف تلفت النظر أو تبقي في الذاكرة، وكان الأثاث يبدو لامعا ونظيفا كما كانت الحوائط تبدو دائما وكأنها حديثة الطلاء.

أما ملابس عبدالناصر فقد كانت صناعة مصرية، فمثلا البيجامة لم تكن تختلف عن تلك التي تراها في منزلك أو منازل أقاربك، وكان يفضل ذات الخطوط الطولية، وكان يغير ملابسه مرة يوميا علي الأقل بعد حمام الصباح، أما القمصان فقد كان يتم تفصيلها عند ترزي كان يعرفه، وكان يحتفظ في دولاب حجرة النوم بقماش بدل صوف يصله كهدايا وقد أهداني واحدة منها.

اصطحبني أحد السعاة إلي حجرة نوم الرئيس للمرة الأولي، وكان ملحقا بها استراحة صغيرة بها مكتب ومكتبة، ودخلت حجرة النوم وكانت متسعة بعض الشئ، وكان عبدالناصر عاشقا للنظام، حجرته منظمة بطريقة سهلة، والكومدينو بجوار السرير وعليه ترموس ماء وكوب والتليفون. أما الكومودينو الآخر علي جانب السرير الأيسر عليه الراديو، وفي الركن المواجه للسرير منضدة عليها جهاز تليفزيون، كما يوجد بالغرفة كرسي فوتيل لم يتغير وضعه أبدا.وفي حجرة المكتب كانت توجد شنطة دواء تحتوي علي الأدوية التي يحتاجها مرتبة بصورة مستديمة تسمح بأن يعرف مكان أي دواء حتى في الظلام.

في منتصف الحجرة كان الرئيس واقفا يستقبلني لأول مرة، وكانت نظراته توحي بالاطمئنان وطريقته في التعامل معي لأول مرة، واستمراره فيما يؤديه من عمل جعلني أؤدي عملي بصورة طبيعية لم أكن أتوقعها، فلم أشعر بالتوتر الذي قد يكون متوقعا في أول لقاء.

وقبل أن أنصرف حدد لي ميعاد حضوري صباح اليوم التالي وكان يوم١٣ يوليو١٩٦٧، وفي هذا اليوم قمت بتوقيع الكشف الطبي عليه، ووجدت مساحة صغيرة في إحدي رئتيه بها تمدد في الشعب الذي يمكن أن ينشأ من سعال ديكي في الطفولة، وأيضا ضعفا في نبض الشريان بإحدى القدمين مما يدل علي مرض السكر ومؤشر علي وجود ضعف في الدورة الدموية الطرفية ويتعارض تماما مع التدخين، لكن كان الرئيس عبدالناصر يدخن بصورة منتظمة ولعلها كانت هوايته الوحيدة

إلي جانب لعبة الشطرنج ورياضة التنس.

كان المرض الأساسي الذي يعانيه البول السكري، وهو مرض يمكن للإنسان العادي التعايش معه، إذا تم ضبط الغذاء والدواء وممارسة الرياضة والمشي خاصة، والبعد عن القلق والتوتر والانفعال، وهي عوامل يصعب السيطرة عليها، وبغير ذلك فيمكن حدوث مضاعفات تصيب القلب والمخ والكلي والأعصاب والعين وشرايين الأطراف.

وكان يجري تحليلا للسكر في البول صباح كل يوم ليتم تحديد جرعة الأنسولين لضبط نسبة السكر في الدم.

مفيش فايدة

في مساء يوم ٢٥ أغسطس ١٩٦٧ حضر المشير عبدالحكيم عامر إلي بيت عبدالناصر، وكان الجو مشحونا بكثير من القلق والتوتر، وكان الرئيس الراحل قد قبل استقالة المشير من قيادة الجيش.

وفي تلك الليلة حدث ما لم يحدث من قبل.

يصف الدكتور الصاوي حبيب ذلك قائلا: طلب مني مصطفي عزيز قائد الحرس الخاص للرئيس إدراك الموقف السئ للمشير وإنقاذ ما يمكن إنقاذه فقد انتحر.

استقبلني زكريا محيي الدين وأخبرني بأن المشير دخل دورة المياه وعندما خرج قال للمجتمعين إنه أنهي كل شئ، وكان معه شريط أقراص دواء تم إفراغه ووضع فيه بودرة غير معروفة وهي التي تناولها المشير.

توجهت إلي حجرة الصالون الموجودة في الدور الأرضي وكان المشير مستلقيا علي أريكة ويجلس في نفس حجرة الرئيس الراحل أنور السادات والسيد حسين الشافعي، رحمهما الله.

حاولت معرفة نوع السم الذي تناوله المشير، لكنه رفض الرد علي أي سؤال واكتفي بكلمة مفيش فايدة، حاولت إعطاءه بعض الحقن، لكنه كان يرفض، فقام حسين الشافعي بالإمساك بذراعه حتى أعطيته بعض الحقن التي جعلته يتقيأ بشدة، وجاء أمين هويدي وقال إن الرئيس عبدالناصر يطلب مني عمل كل ما يلزم لإنقاذ المشير. ومرت الأزمة بخير، وفي الصباح توجهت إلي منزل المشير فوجدته في حالة طبيعية جدا.

لكنني لم أجد إجابة للرئيس عبدالناصر عندما سألني عن نوع السم الذي تناوله المشير، فقد أزيل القئ من حجرة الصالون عندما ذهبت لإحضار حقنة ريتالين المنشطة، ولم أتمكن من أخذ عينة للتحليل.

بعد يومين سافر الرئيس إلي السودان وكانت أول رحلة للرئيس بعد نكسة يونيه، وأول رحلة لي مع الرئيس خارج مصر.

بعد العودة سافر الرئيس إلي الإسكندرية للراحة بضعة أيام، وفي يوم١٥ سبتمبر فوجئت بسفر الرئيس إلي القاهرة، وكان قد ترك رسالة لي للحاق به، وكنت قد تركت المعمورة في جولة بمدينة الإسكندرية، وعلمت أن الظرف الطارئ الذي جعل الرئيس يعود إلي القاهرة فجأة هو انتحار المشير وبعد انتهاء التحقيقات المعتادة أعلن أن المادة التي تناولها المشير هي سم الأكوتيتين.

في تسخالطوبو

في أكتوبر١٩٦٧ بدأ عبدالناصر يعاني آلاما في الساقين وأسفل الظهر، وكانت هذه الآلام تشتد ليلا نتيجة لمرض السكر.

وفي٣١ ديسمبر زاره د. جاكوب بولسن دانماركي وكان أحد أكبر أطباء السكر في العالم، وأكد ضرورة الإقلاع عن التدخين ونصح بعمل علاج طبيعي يشمل تمرينات رياضية للقدمين والساقين.

في يناير١٩٦٨ زاره الدكتور فرجسون والدكتور هانلي أطباء المسالك البولية المعروفان في بريطانيا، وكانت النتيجة عدم وجود علاقة بين الآلام في الساقين والمسالك البولية.

في منتصف فبراير١٩٦٨ عاد د. محمد فودة كبير أطباء العلاج الطبيعي بالقوات المسلحة من بعثة في إنجلترا، وبعد عدة أيام بدأ العلاج الطبيعي للرئيس.

وفي شهر مارس زاره د. جير ستنبراند النمساوي وعاد في يوليو ولم يأت بجديد.

في إبريل من نفس العام١٩٦٨ زاره د. رقسوم أستاذ الأعصاب النرويجي وأوصي بالراحة وضبط السكر.

في يوليو١٩٦٧ سافر الرئيس إلي موسكو في رحلة عمل، وكان اهتمام الروس بصحة الرئيس كبيرا جدا، وقد شهد شهر يوليو عودة الرئيس إلي مدينة تسخالطوبو وهي مدينة استشفاء بالمياه الطبيعية، وكان عدد المرافقين للرئيس لا يتجاوز٢٠ شخصا، وكنا نقيم في استراحة واحدة بجوار الرئيس.. وكان الكشف الطبي من الجانب الروسي من الدكاترة شازوف وشميدت وإيفان تولين.

وفي الأسبوع الأول حدث تحسن لكن في الأسبوع الثالث اشتدت الآلام بدرجة كبيرة ثم بدأت تخف.

وبطبيعة الحال قام المرافقون للرئيس بأخذ الحمامات علي سبيل التجربة- كما يقول د. الصاوي- لمعرفة تأثيرها، وفي الواقع لم ألحظ وجود فارق أو تأثير علي حالتي الصحية.

وبحلول نهاية عام١٩٦٨ كانت الحالة الصحية للرئيس أفضل، وكان الرئيس قد امتنع عن التدخين نهائيا منذ٨ يوليو١٩٦٨.

عبد الناصر في حديقة منزله

obeikandl.com

الحلقة الرابعة

أربعة أجراس يومية
فى حياة عبد الناصر

obeikandi.com

جمال عبدالناصر من يوم١٢ يوليو عام١٩٦٧ وحتى يوم وفاته في٢٨ سبتمبر١٩٧٠ وزيارته له مرة أو مرتين في اليوم، وبعض الأحيان ثلاث مرات وقتا كافيا لإعطائه انطباعا شخصيا عن شخصيته. تلك الميزة التي لم تتوافر لغيره. يروي الدكتور الصاوي جوانب عديدة لهذا الزعيم الذي ألهب مشاعر الأمة العربية قائلا: كانت البساطة هي السمة المميزة لطعامه وشرابه، فبعد إعداد كتيب خاص للنظام الغذائي الواجب اتباعه بالنسبة له كمريض سكر، اتضح أن أكله أبسط بكثير مما أعددناه، فقد كان يأكل ما هو ضروري ليعيش فقط.

وفي زيارة للسيد حسن صبري الخولي الممثل الشخصي لعبدالناصر، وجدت عنده عددا من الدبابيس والمشابك والأدوات المكتبية الملونة، أخبرني أنها لا تقدم لعبدالناصر، لأنه لا يقبل إلا الورق الأبيض العادي والدوسيهات العادية والمشابك والدبابيس العادية، ويعترض علي المبالغة في استخدام أدوات

مكتبية مكلفة.

وبطرافة رائعة وخفة دم جميلة يقول الدكتور الصاوي: كنت كثيرا ما أنسي نظارتي الطبية في حجرة الزعيم بعد الكشف عليه ثم أعود لآخذها وذات مرة قال لي: لابد أن تضع النظارة في مكان لا تغيره، وكذلك المفتاح وكل الأشياء الصغيرة التي تستعملها. وليس الغرض من ذلك أن تكون منظما فقط، بل الأهم ألا تشغل عقلك بالأشياء الصغيرة الكثيرة المتكررة، وبالتالي توفر تفكيرك للأشياء المهمة والطارئة.

ومن دلائل النظام في حياة عبدالناصر أنه كان عندما يستيقظ في الصباح ويريد الشاي يدق الجرس فيدخل عليه السفرجي دون أن يسأله بصينية عليها الشاي والعسل. وعندما يدق الجرس ثانية فمعني ذلك أنه يطلب الطبيب للدخول، وما إن يدق الجرس في المرة الثالثة حتى يدخل دورة المياه، بعدها يدخل السفرجي ومعه آخر ويقومان بتنظيف الحجرة وترك غيار لملابسه الداخلية علي السرير، وكان ينتهي من الحمام بعد ثلث الساعة تقريبا، فيجدهما قد غادرا الحجرة، ويقوم بارتداء ملابسه والاستعداد للنزول إلي حجرة المكتب أو بدء مقابلاته. وعندما يدق الجرس للمرة الرابعة كان معني ذلك أنه يطلب الإفطار، وكان يتكون من الجبنة البيضاء وبعض الفول والزبادي ونبات الأفوكادو أحيانا، وكان يحرص أن يطلب السيدة قرينته لتناول الإفطار معه. كل هذا يحدث يوميا أثناء وجوده بالقاهرة.

ويكشف الدكتور الصاوي عن جانب إنساني في الرئيس عبدالناصر وهو عدم الغضب أو الانفعال أو معاقبة من يرتكب خطأ عن غير قصد مهما كانت النتيجة، ويقول: حدث أثناء وجود الرئيس بالإسكندرية أن أعطيناه مهدئا ليساعده علي النوم، وفي الصباح عندما دخلت عليه سألته إن كان نام جيدا أم لا فقال لي إنه استيقظ علي صوت التليفون في الثانية صباحا ولم ينم بعدها. وتوقعت أن يكون هناك سبب مهم، لكنه أخبرني أن عامل السويتش دق عليه خطأ. فقد أخطأ عامل

السويتش في توصيل مكالمة خارجية للضابط المناوب فدق علي حجرة نـوم الـرئيس وأيقظه، و علي الرغم من خطأ عامل السويتش إلا أن أحـدا لم يعاقبـه لأن الـرئيس لم يأمر بذلك. وفي الواقع لم أره مرة منفعلا أو عالي الصوت داخل منزلـه، كـما لا أذكـر أنه عاقب أو فصل أحدا ممن يعملون معه.

نزاهة عبدالناصر

وكان عبدالناصر حريصا علي نزاهة من يعملـون بجـواره، وكـان منتبهـا دائـما لمـا يدور حوله. يروي دكتور الصـاوي بعـض القصـص الطريفـة في هـذا الشـأن قـائلا: أثناء الذهاب إلي حمامات المياه الطبيعية للعلاج في تسخا لطوبو بروسيا كان يلاحـظ أن السيد محمود الجيار يتقرب من الـرئيس أثنـاء التقـاط الصـور في الطريـق بواسـطة الصحفيين، فعلق عبدالناصر قائلا: إن الجيار يقترب ليظهر في الصور بجواري لكي يستفيد منها في الدعاية الانتخابية له والتي ستجري بعد شهرين.

ويقول د. الصاوي: سألني الرئيس يوما عن موعد انتقالي إلي الشقة التي أسكنها فأخبرته أن هذا تم قبل أربع سنوات مـن بـدء عمـلي معـه، وكـان مـن الضروري أن أخلي الشقة التي كنت أقيم فيها لوجود شروخ طولية بأعمدة الأدوار العليا، وصدر لها أمر تنكيس من محافظة القاهرة ووجوب الإخلاء وأطلعتـه عـلي أمـر التنكـيس في اليوم التالي.

ويتذكر د. الصاوي حرص عبدالناصر علي من حوله في تلك الواقعة قائلا: ذات يوم كان موعدي معه بعد الظهر في الساعة السابعة، لكنني وجدت من يتصل بي من سكرتارية الخاصة ليخبرني بأن الرئيس يطلب حضوري في السابعة إلا ربع بدلا مـن السابعة. وعندما قابلت الرئيس أخبرته بـأنني أحضر مبكـرا عـن الميعـاد فـرد قـائلا: إننـي أعطيـت ميعـادا لـرئيس وزراء السـودان في السـاعة السـابعة، فلـو كنـت قـد حضرت في السـابعة وعنـدي رئـيس الـوزراء السـوداني فهـل كنـت سـتنتظر، فقلـت

سأنتظر طبعا، فرد قائلا: لا داعي لذلك. فقد كان يعلم أنني أذهب إلي عيادتي الخاصة بعد الظهر بالرغم من أنني طبيبه الخاص، ووقتي مخصص له أولا.

حادثة أخري يسردها د. الصاوي قائلا: سمعت الرئيس ينتقد السيد حسن التهامي أمين عام الرئاسة لأنه استأذن من الملك السنوسي، وكان لاجئا في مصر بعد ثورة ليبيا، في استعارة الكابينة المخصصة له في المنتزه لمدة يوم ليقيم فيها بصفة مؤقتة الملك حسين ملك الأردن، وكان في زيارة للقاهرة، ويرغب في قضاء يوم بالإسكندرية، وكانت وجهة نظر عبدالناصر أن الملك السنوسي في وضع لا يسمح له بالرفض لأنه لاجئ في بلادنا.

أطباء في حياة الرئيس

شأن العلماء الكبار وتواضع العظماء لم يستنكف د. الصاوي من سرد أسماء الأطباء الذين كانوا يعالجون الرئيس عبدالناصر، بل إنه يصف الكثير منهم عند الحديث عنهم قائلا: أستاذي الدكتور فلان.. وتعلمت من الدكتور فلان كذا وكذا.. وكان الدكتور فلان بارعا في مجال كذا وكذا.

ومن هؤلاء الأطباء ذكر الدكتور الصاوي أسماء الدكتور أحمد ثروت وكان رئيس القسم الطبي بالرئاسة في عام١٩٦١، قائلا: وكان هو الذي انتدبني للعمل معه، كما كان مسئولا عن علاج معظم أعضاء مجلس قيادة الثورة، وكان يجيد علاج الحالات الطارئة، فكان الطلب عليه كبيرا، وكانت علاقته بالرئيس تتسم بالكثير من الود والألفة، فقد كان يمكث معه مددا طويلة في الصباح أكثر مما يستلزم الكشف الطبي.

وبعد حرب يونيو١٩٦٧ تأثر جدا بشدة، ومرض ولم يمض وقت طويل حتى توفي. وذهب كما يذهب هؤلاء الذين يهبون أنفسهم لعملهم ولا يتركون إلا الذكري الطيبة.الدكتور منصور فايز كان أستاذا للأمراض الباطنة في جامعة

القاهرة، وكان المشرف علي علاج الرئيس، يقابله في أي وقت ويصاحبه في أكثر أسفاره، وكان شديد الذكاء، قوي الملاحظة، وكان يصل إلي التشخيص السليم بسرعة، كما كان يستغرق وقتا قصيرا في الكشف الطبي، حتى إنني سألته عن ذلك فقال ضاحكا: إنني لو أطلت الكشف عن المعتاد فلن أكون منصور فايز. يصف د. الصاوي قائلا: وكان أستاذي الذي تعلمت منه الكثير.

الدكتور عبدالبدري، أستاذ الأمراض الباطنية بجامعة القاهرة، وكان زميلا للدكتور منصور فايز وكان من أكبر خبراء مرض السكر في الستينيات وضمه د. فايز لفريق علاج الرئيس لخبرته، وكان كثيرا ما يسافر لحضور مؤتمرات السكر، كما كان يستضيف كثيرا من الخبراء لزيارة كلية الطب. ولا ينسي دكتور الصاوي أن يختتم كلماته عن كل طبيب قائلا: وذهب كما يذهب هؤلاء الذين يهبون أنفسهم لعملهم ولا يتركون إلا الذكري الطيبة.

الدكتور محمود صلاح الدين كان وزير الصحة قبل ثورة يوليو، وكان أستاذا للباطنة في جامعة الإسكندرية، وأستاذا لأمراض القلب التي كانت جزءا من الباطنة في ذلك الوقت. ولا يوجد في جيل الخمسينيات من لم يقرأ مذكرات د. محمود صلاح الدين في أمراض القلب. وكان شخصية مهيبة واسع العلم والمعرفة، وكان الرئيس يحبه ويحترم رأيه ولم يحدث أن قدم عبدالناصر إلي الإسكندرية دون أن يطلب مقابلته وكان يترك الحرية في موعد الزيارة الذي يناسبه. وفي أي اجتماع خاص بصحة الرئيس كان هو الذي يترأس الاجتماع.

الدكتور زكي الرملي، أستاذ أمراض القلب جامعة القاهرة انضم إلي فريق علاج الرئيس بعد إصابته بجلطة الشريان التاجي الأولي، وكان زوج كريمة د. محمود صلاح الدين. وكان هادئا وديعا يوحي بالثقة. وكان كتوما قليل الكلام، شارك في علاج الرئيس خلال السنة الأخيرة من حياته، وكان أحد الثلاثة الذين حضروا

وفاة عبدالناصر.

الدكتور ناصح أمين، كان أستاذا ورئيس قسم التحاليل الطبية جامعة القاهرة، وكان المسئول عن إجراء الأبحاث المعملية للرئيس وهو صاحب مدرسة كبري في التحاليل الطبية وصاحب إسهامات كبيرة في إنشاء معامل التحاليل الطبية. وعندما حاول الرئيس إمداده بالعملة الصعبة للحصول علي المواد الكيميائية اللازمة للتحليل رفض وأعاد النقود ورفض أن يأخذ أجرا عن علاج الرئيس، وقد مضي إلي رحمة الله وآثاره في كل مكان أفضل تخليد لذكراه.

الدكتور كمال الدين محمود عبيد، أستاذ طب الأسنان، كان طبيب أسنان في القوات المسلحة، وكان المسئول عن علاج ضباط القيادة بعد الثورة وانتدب لرئاسة الجمهورية في عام١٩٥٧، وصار طبيب أسنان الرئيس عبدالناصر وعائلته، وقد أقام عيادة أسنان صغيرة ملحقة بمنزل الرئيس علي يمين المدخل، وكان لدماثة خلقه ومهارته أثر كبير في إقبال الجميع عليه، واستمر في أداء عمله طوال فترة حكم الرئيس السادات، كما استمر فترة مع الرئيس مبارك، ووصل إلي منصب رئيس الإدارة الطبية برئاسة الجمهورية، وكانت عيادته الخاصة ملتقي الكثير من الكبراء ومازالت وهو إلي جانب مهارته يشعرك بالمودة والاطمئنان.

الدكتور علي المفتي، أستاذ الأنف والأذن والحنجرة، جامعة عين شمس، ثم عميدا للكلية كان علي درجة عالية من الكفاءة والمهارة وكان بينه وبين الرئيس عبدالناصر الكثير من المودة والصداقة وكان يتردد عليه كثيرا لعلاجه من التهابات اللوزتين والحلق، وتوفي إلي رحمة الله وقد ترك مدرسة كبيرة في التخصصات الدقيقة للأذن.

الدكتور محمد الظواهري، أستاذ الأمراض الجلدية جامعة القاهرة، وكانت له منزلة خاصة عند الرئيس وكانت له إسهامات كثيرة في البحث العلمي، ومازالت

الأدوية التي اكتشفها د. الظواهري تستعمل حتى الآن. وكانت شهرة د. الظواهري في مجاله قد طوفت الآفاق، وقد حصل علي جائزة وسام العلوم والفنون أيضا، وحصل علي جائزة الرئيس مبارك أعلي الجوائز العلمية في مصر. وقد ظل د. الظواهري بالنسبة لي أستاذي ومعلمي، وعندما مضي إلي رحمة الله كان هناك جيل من الأطباء وجدوا فيه الأب والقدوة والمعلم والأستاذ.

الدكتور صلاح جبر وكان صيدلي ومسئول عن تحليل السكر في البول يوميا، ومسئول الإمداد بالدواء والتأكد من سلامة الأغذية في المآدب والاحتفالات وخلف الدكتور ثروت في رئاسة القسم.

وقد أجريت بعض الأبحاث المعملية عند الدكتور أحمد ياسين، ود. عبدالمنعم عثمان بالقاهرة، والدكتور حنا برسوم، ود. عزيز طانيوس بالإسكندرية، وبالنسبة للأشعة فقد كان يجريها د. فؤاد يس طبيب الأشعة بالرئاسة في قصر القبة. ود. محمد عبدالوهاب محمود في عيادته الخاصة، ود. جمال مسعود في عيادته بالإسكندرية.

وكان يرافق الرئيس في التحركات العميد طبيب محمود فراج، وقد انتدب من الحرس الجمهوري إلي السكرتارية الخاصة، وفيما بعد انضم إليه د. طه عبدالعزيز من الحرس الجمهوري لتصبح الخدمة بالتناوب. والحق يقال الكتاب مذكرات طبيب عبدالناصر والذي نشرته الهيئة المصرية العامة للكتاب هذا العام مليء بالمفاجآت والمعلومات الخاصة بعلاقة د. الصاوي حبيب وبالرئيس جمال عبدالناصر وأسرته وسفرياته، بل وبعض الآراء الخاصة به في السياسة والحاضر والمستقبل.

obeikandl.com

الحلقة الخامسة

تفاصيل اللحظات الأخيرة

كل يوم مرتين وأحيانا ثلاث مرات لمباشرة علاجه قائلا: كان يتعامل مع الجميع باحترام لذلك كان الجميع يتفانون في خدمته بإخلاص شديد.

ويحرص د. الصاوي علي أن ينقل لنا قول د. منصور فايز أستاذ الأمراض الباطنة، وكان من أطباء الرئيس قائلا في أدب العلماء: قال لي أستاذي د. منصور فايز ذات مرة: كثيرا ما تسمع عن عظمة رئيس أو وزير حتى إذا التقيته وجدته أقل مما كنت تعتقد إلا جمال عبدالناصر، فقد وجدته أعظم بعد أن التقيته عما كنت أقدره.

في شهر إبريل ١٩٧٠ حدث تغيير في رسم القلب مصحوبا بتغيير في التحليل، وقد استوجب هذا أن يخلد عبدالناصر للراحة فترة اختصرها هو لمدة أسبوع وكان هذا أقصي ما حصل عليه من راحة، وعموما كانت التحاليل تشير إلي ارتفاع نسبة الكوليسترول، وفي وجود مرض السكر وضيق وتصلب الشريان التاجي مع ارتفاع في ضغط الدم مؤشرا علي زيادة

الخطورة، بالإضافة إلي زيادة القلق والتوتر بسبب حرب الاستنزاف وكثرة أعباء السفر والمؤتمرات.

وقد أبرز الدكتور الصاوي ملمحا في شخصية عبدالناصر حين اقترح عليه أن يعقد اجتماعات مجلس الوزراء في الصباح بدلا مما كان متبعا في المساء إلي ما بعد منتصف الليل وعدم السهر في القيادة، لكنه رد قائلا: بأن نشاطه الذهني والفكري يتوهج في المساء، وأن هذه طبيعته ولا يمكنه تغييرها.

ويشير د. الصاوي إلي ملمح التدين عند عبدالناصر قائلا: كان معتادا أن تكون أول رحلة لكل طائرة جديدة لشركة مصر للطيران إلي السعودية وعلي متنها بعض المدعوين لأداء مناسك العمرة كنوع من التبرك. وذات مرة طلب أحد كبار موظفي الرئاسة السفر في إحدي هذه الرحلات ورفض عبدالناصر؛ لأن هذا الموظف كان قد سافر قبل ذلك. وأصدر عبدالناصر قرارا باقتصار السفر المجاني لأداء العمرة علي أسر شهداء الحرب.

ملمح آخر يقول فيه د. الصاوي: لم ينس عبدالناصر يوما برغم مشاغله أنه زوج ورب أسرة، فقد كان أول تليفون يطلبه إذا سافر لمأموريات في الداخل أوالخارج للسيدة الفاضلة حرم الرئيس للاطمئنان عليها وعلي أولاده ويطمئنها علي نفسه.

ويواصل الدكتور الصاوي الاقتراب بنا من شخصية عبدالناصر فيقول: كانت البساطة هي السمة المميزة لطعامه وشرابه، فبعد إعداد كتيب خاص للنظام الغذائي الواجب اتباعه بالنسبة له كمريض سكر اتضح أن أكله أبسط وأقل مما أعددناه، وكان يفضل الجبنة البيضاء وعموما كان يأكل ما هو ضروري ليعيش فقط، وكان يفضل عصير الليمون والبرتقال ولا يشرب غيرهما سوي الماء، وكان يحتفظ بترموس ماء علي الكومودينو بجوار السرير في حجرة النوم.

عام من الإرهاق

وحتي يتضح لنا المجهود الضخم الذي كان يبذله عبدالناصر رصد بعد التواريخ

الشاقة في العام الأخير من حياة عبدالناصر. ففي أول يناير ١٩٧٠ زار السودان، وكان قد عاد في يوم٢٩ ديسمبر١٩٦٧ من زيارته المكثفة للمغرب والجزائر وليبيا.

وفي٢٨ يناير سافر إلي موسكو، ثم ترأس مؤتمر المواجهة الذي حضره الرؤساء نور الدين الأتاسي وجعفر نميري والملك حسين في٩ فبراير.

وفي١٢ فبراير انعقد مؤتمر قمة دول ميثاق طرابلس بالقاهرة، وفي مارس من نفس العام سافر إلي الإسكندرية لتشييع جنازة عمه خليل حسين واستقبل نائب وزير خارجية الاتحاد السوفييتي وأعضاء الاتحاد العالمي لنقابات العمال واستقبل وفدا من علماء المسلمين.

في٢٥ مايو سافر إلي السودان ولم تمض بضعة أسابيع حتى سافر إلي ليبيا، وفي يوليو سافر إلي الاتحاد السوفييتي.

وفي١٧ سبتمبر سافر إلي مرسي مطروح لمقابلة العقيد القذافي وكانت الساحة العربية قد اشتعلت بالقتال بين الأردنيين والفلسطينيين فيما عرف بـ أيلول الأسود.

قبل ذلك وتحديدا في أغسطس ١٩٧٠ كشف رسم القلب عن وجود دقة أو صوت ثالث ضعيف ولغط في عضلة القلب، وأجمع فريق الأطباء علي ضرورة أن يغير الرئيس أسلوب حياته، وأن يخلد للراحة، وفاجأ الرئيس المجتمعين بقوله: معني هذا أنني لابد أن أغير هذه الوظيفة.في٢٥ سبتمبر بدأ الإعد د لمؤتمر القمة العربية، وأقام الرئيس في فندق هيلتون النيل ليكون في مركز المؤتمر الذي عقد بجامعة الدول العربية بجوار الفندق، وكان يستقبل الملوك والرؤساء في المطار.ويقيم مباحثات فرعية علي هامش المؤتمر.

شاعرية طبيب

إلي جوار ما نعرفه عن الدكتور الصاوي حبيب من براعة في الطب، فهو رئيس تحرير المجلة العلمية للأمراض الباطنة، ورئيس جمعية الأمراض الباطنة والحاصل

obeikandi.com

علي دبلوم الجراحة العامة ودبلوم جراحة المسالك البولية، ودبلوم القلب والأوعية الدموية، وحاصل علي درجة الدكتوراه في الأمراض الباطنة، نراه صاحب أسلوب شاعر رائع، وكأنه أديب ضل طريقه إلي الطب يتجلي ذلك والكثير جدا من فقرات الكتاب الرائع مذكرات طبيب عبدالناصر، فلنسمع لبعض تلك الفقرات وهو يصف علاقة عبدالناصر بما يدور حوله من أحداث: وهكذا كانت الأحداث تدور وعبدالناصر في مركز الدائرة يدور بها ومعها ولا يستطيع الخروج منها، ولا يستطيع أحد إخراجه منها إلا أن تتوقف العجلة عن الدوران وتخمد النيران ويضع المتقاتلون السلاح يقصد الأردنيين والفلسطينيين، وهو ما كنا نأمل فيه ونترقبه لكي يحصل عبدالناصر علي أجازة تحافظ علي ما تبقي من رصيده الصحي وهي أجازة تمنحها له الأحداث بتوقفها وليس الأطباء بنصائحهم.وانتهي مؤتمر القمة العربية في٢٧ سبتمبر وبدأ الملوك والرؤساء في المغادرة وعبدالناصر يودعهم في المطار ولم يبق إلا أمير الكويت ليودعه في الساعة الثالثة بعد ظهر اليوم التالي.

اليوم العصيب

تحت عنوان يوم ليس له آخر يسجل الدكتور الصاوي اللحظات الأخيرة في حياة عبدالناصر قائلا: في الساعة الرابعة والنصف بعد ظهر يوم٢٨ سبتمبر وصلتني رسالة تليفونية من سكرتير الرئيس الخاص المرافق له في المطار بأن الرئيس يطلب مني التوجه إلي منزله في منشية البكري، وتوجهت من منزلي بوسط القاهرة إلي منزل الرئيس بعد حوالي ثلث الساعة، وقابلتني السيدة حرم الرئيس خارج حجرة نومه وأخبرتني أنه عاد من المطار وهو يشعر بالتعب، وأنه تناول كوبا من عصير البرتقال.

كان الرئيس مستلقيا علي السرير مرتديا بيجامته ورأسه مرتفعة قليلا، وقال لي إنه شعر بتعب أثناء توديعه أمير الكويت في المطار وأحس أن قدميه لا تقويان علي حمله.

عندما فحصته لاحظت وجود عرق بارد علي جبهته. كما كان وجهه شاحبا بعض الشيء، وكان النبض سريعا لا يكاد يكون محسوسا كما كان ضغط الدم بالغ الانخفاض، وكانت أطرافه باردة.

يواصل الدكتور الصاوي وصف تلك اللحظات التي تعجز الكلمات عن وصفها قائلا: أحسست في الحال بخطورة الموقف وتم استدعاء د. منصور فايز أستاذ الباطنة ود. زكي الرملي أستاذ القلب. وقمت بعمل رسم قلب، فقد كانت غرفة نوم عبدالناصر أشبه بغرفة إنعاش بها جميع الأجهزة المطلوبة في حالات الطوارئ التي كانت تتكرر كثيرا.

واكتشفنا وجود انسداد جديد في الشريان التاجي، واستمر العلاج، وأخذ الدكتور منصور فايز يحادث الرئيس عن رغبته في زيارة الجنود علي الجبهة، وأخبره الرئيس عن إمكانية التنسيق مع بعض الوزراء، واعتدل الرئيس ليفتح الراديو الموجود علي الكومودينو بجوار السرير، وقال إنه يرغب في سماع خبر في نشرة أخبار الخامسة. لكنه لم يذكر هذا الخبر ولم يعرفه أحد حتى الآن. وظل يصغي لنشرة الأخبار حتى انتهت وطلبت منه ألا يتحرك وأن يستريح وكان قد أغلق الراديو ورد قائلا: أنا استريحت ياصاوي، وفوجئت برأسه تميل إلي الجانب فجأة، وفي الحال تحسست النبض فوجدته قد توقف، فقمت بعمل تنفس صناعي وتدليك خارجي للقلب في وجود الدكتور زكي الرملي والدكتور منصور فايز. واستمرت هذه المحاولات حوالي ثلث الساعة دون جدوي.

لقد توفي الرئيس جمال عبدالناصر بالصدمة القلبية، وهي من أخطر مضاعفات انسداد الشريان التاجي.

مضيت إلي آخر الحجرة وفي داخلي شعور بالحزن والمرارة وعلي السلم الداخلي في المنزل وجدتني أقول لمن وجدته في الخارج من أهل المنزل خلاص مفيش فايدة.

وفي الخارج عرض د. منصور فايز التقرير الطبي لوفاة عبدالناصر في الجلسة المشتركة بين اللجنة العليا للاتحاد الاشتراكي ومجلس الوزراء التي عقدت لهذا الحدث وسلم التقرير وشهادة الوفاة للمسئولين.

بعد إنقاذي لحرم الرئيس من نوبات سرعة ضربات القلب التي كانت تنتابها بين الحين والآخر، والتي ظلت حوالي ثلاث ساعات، خرجت من الحجرة حيث كان الهدوء الثقيل يخيم علي المكان وقد انصرف الجميع ولم أر أحدا، ولم أشاهد من حضر ومن انصرف، وكانوا قد نقلوا الجثمان إلي قصر القبة. ذهبت إلي منزلي وأنا أدعو الله أن يلطف بنا ويلهمنا الصبر.

Obeikandl.com